الدراسات الاستشرافية: مقاربة مفاهيمية

ملخص

تعتبر الدراسات الاستكشرافية، علم من العلوم الاجتماعية يهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث في المستقبل وتحليل مختلف المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في هذه الاتجاهات أو في حركة مسارها، وذلك من أجل الوصول إلى أفضلية مستقبل بديل. وسنحاول من خلال هذا المقال، عرض نشأة الدراسات الاستكشرافية وتطورها، مفهومها، أهدافها ومبادئها، وطرق بنائها، وكذا أهم الايجابيات والمعوقات التي تعترضها.

الكلمات المفتاحية: الدراسات الاستشرافية، المستقبل، الايجابيات والمعوقات.

عمار لوصيف

كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير
جامعة قسنطينة 2- عبد الحميد مهري
الجزائر

Abstract

The perceptive studies are considered, as one of the social sciences specialization which aims to determine directions of future events, and to analyze the different changes which can affect these directions or its movement on tack in order to access a substitute favorite future. Through this article, we will try solving, perceptive studies origin, its evolution concept, aims principals methods of their construction and as well as more important positives and the disabilities which obstruct them.

Keywords: Perceptive studies, Future, positives and disabilities.

مقدمة

إن الاهتمام بالمستقبل يعتبر شيئا مميزا ظهر منذ فجر التاريخ، و لقد كان للمفكرين دور كبير في الماضي في إعلان شأن التفكير في المستقبل، غير أن الاهتمام العملي بالدراسات الاستشرافية كعلم كان في أوائل القرن العشرين، ولقد مرت هذه الدراسات بمراحل، اعتمد فيها في كل مرحلة من هذه المراحل على أسس فكرية ونظرية ومنهجية. فالدراسات الاستشرافية تهتم بالتطورات المستقبلية و تستشرف أحداث الزمن الآتية، من خلال تحديد مدى احتمال وقوعها ولهذا تعتمد هذه الدراسات على مجموعة من المبادئ تساهم في التعامل مع الحاضر على أساس علمي رشيد، كالآتي: مبدأ الاستمرارية،

© جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1، الجزائر 2015.

مبدأ التماثل، مبدأ التراكم، مبدأ استخلاص العبرة من الماضي، مبدأ التنبؤ بالمستقبل. و تهدف الدراسات الاستشرافية إلى اكتشاف وتقويم واقتراح بدائل ممكنة للمستقبل وترشيد عملية المفاضلة بينها من أجل الوصول إلى أفضل بديل ممكن في المستقبل، كما تعمل على توفير قاعدة معرفية، تساعد على ترشيد التفكير الاستشرافي. و رغم المزايا التي تتسم بها الدراسات الاستشرافية إلا أنها تعاني من صعوبات من أهمها: طبيعة هذه الدراسات المعقدة، ابتعاد الفرضيات التي تقوم عليها هذه الدراسات عن الأساس العلمي، نقص البيانات وعدم مصداقيتها، ورغم الصعوبات التي تواجه الدراسات الاستشرافية، فإنها تثبت قدراتها و بشكل مستمر وتحسن من أدائها، و قد ترقى إلى مستوى أفضل من خلال الأدوات المستخدمة فيها، فماذا نعني بالدراسات الاستشرافية، وهل هي ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها ؟

في ضوء ما سبق، سنحاول من خلال هذا المقال معرفة ماهية الدراسات الاستشرافية من خلال نشأتها وتطورها، ثم نتناول مفهومها، أهدافها ومبادئها، وطرق بناءها، لنقوم في الأخير بتقييم الدراسات الاستشرافية، وذلك من خلال معوقاتها و إيجابياتها.

1-نشأة الدراسات الاستشرافية و تطورها:

قد تكون البدايات الأولى للدراسات الاستشرافية معاصرة للحرب العالمية الثانية، حيث أنشئ في الولايات المتحدة الأمريكية بعض المعاهد التي اهتمت ببعض الدراسات الاستشرافية المتصلة بالإستراتيجية العسكرية.[1]

ولكن ثمة بداية أخرى أقدم قليلا، تعود إلى نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين، وفي بلد آخر هو بريطانيا، حيث قام أنصار رابطة رواية الخيال العلمي، بإصدار مجلة باسم "الغد: مجلة المستقبل"،[2] ''Tomorrow : The magazine of future''.

وكانت البداية العلمية للدراسات الاستشرافية في أوائل القرن العشرين، على يد عالم الاجتماع "كولم جلفلن" الذي كان أول من اشتق اسما لهذا العلم وهو "ملتنولوجي" وهي كلمة يونانية تعني علم المستقبل.[3]

و لعل عام 1943، كان العام الذي شهد صك اصطلاح جديد، أطلق عليه علم المستقبل (Futurology) أتى ضمن أعمال أوسيب فلشتهايم (Ossip K.Felchhtheim).[4] فنجد في فرنسا، أن العالم غاستون برجيه (Gaston Berger) في سنة1951، أنشأ مركزا دوليا للاستشراف (Centre d'édudes prospective) نشر في بداياته الأول، ما عرف (بكراسات الاستشراف).[5]

فأخذ الاستشراف طابعه المؤسساتي في منتصف الخمسينات، على يد الفيلسوف غاستون برجيه (G. Berger) الذي أقامه بالدرجة الأولى على قاعدة نقد القرار.[6]

وقد أسس برجيه (Berger) بعد ذلك في عام 1957 المركز الدولي للمستقبل المنظور، و أصبحت له مجلة خاصة عام 1985 تحمل ذات الاسم المستقبل المنظور و

المنظورية (prospective) و من جماعة برجيه Berger التي التفت حوله في الخمسينيات، ثمة شخصيتان لعبتا دورا هاما في انطلاقة الدراسات الاستشرافية في فرنسا، هما: بيير ماسيه (Pierre Massé)، و برتراند دو جوفنيل (Bertrand De Jouvenel).[7]

ومنذ سنة 1958 قام غاستون برجيه Gaston Berger، بتدقيق أساليب هذه المقاربة الجديدة، وصياغة بعض المبادئ الكبرى لها. و في الفترة ما بين 1959 و1960، شرع برجيه Berger في أولى الدراسات الاستشرافية، كان إلى جانبه في عمله الفكري بعض أعضاء المركز الدولي للاستشراف، وبالأخص بيير ماسييه Pierre Massé الذي كان آنذاك محافظ للتخطيط، لقد قاما معا بتوضيح بعض أحكام العمل الاستشرافي واقعيا عن طريق ضبط مجموعة من القواعد البراغماتية.[8]

يمكننا القول أن البدايات الحديثة للتفكير في الدراسات الاسشترافية و تبلورها، كانت في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين، حينما شرع علم التفكير من خلال النظم، يأخذ طريقه إلى الدراسات السياسية والإنسانية ثم تطورت فأمست علم ديناميكية النظم.[9]

ففي مطلع الستينات أخذت الدراسات الاستشرافية تحظى بالاهتمام الأكبر، و الانتشار الواسع وتتجه بعيدا عن الجزئية في تصورها للمستقبل،[10] فمنذ عام 1960 أسس برتراند دو جوفنيل Bertrand De Jouvenel مؤسسة المستقبلات الممكنة، حيث بدأت بسلسلة دراسات كتبها عدد من كبار العلماء في المستقبل السياسي، وأسس كذلك في ذلك الوقت "رابطة المستقبلات الدولية"، التي أصدرت مجلة المستقبليات، وفي عام 1964 نشر برتراند دو جوفنيل Bertrand De Jouvenel كتابه فن الرجم بالغيب (L'art de la conjecture)،[11] ليؤكد فيه أن معرفة المستقبل نافعة، لأنها تساعدنا في تلافي أخطاء الماضي و مشكلات الحاضر، و تنقية المستقبل من كثير من المعوقات التي تحاصر الإمكانات الإنسانية، كما ذهب ألفن توفلر A. Toffler بصياغة فكرة أن مستقبل الإنسان و مجتمعه مستقبل مفتوح النهاية، حيث توجد عند كل لحظة مستقبلية مستقبلات ممكنة (possibles futures) و من ثم يجب أن يتوجه جهدنا إلى اختيار أفضلها.[12] و يشار في هذا السياق أيضا، إلى كتاب الفرنسي فرانسو هيتمان "لغة التنبؤ". ففي عام 1963 أسس بيير ماسيه Pierre Massé، وهو المدير التنفيذي بشركة الكهرباء الفرنسية لجنة مستقبلية سماها 'لجنة 1985"، وبذلك يكون الفضل للفرنسيين هؤلاء وغيرهم، بوضع ما يمكن تسميته "الفلسفة المستقبلية".[13]

هذا و قد شهدت الستينات اهتماما واضحا، أحدث تطورا كميا و كيفيا في الدراسات الاستشرافية، فقد نشر دنيس جبور D. Gabour عام 1964 في كتابه The Iventing future، كما نشر تيودور جوردن T. Gordon عام 1965 كتابه المستقبل The future، بالإضافة إلى المقال المتميز الذي نشره ألفن توفلر A. Toffler، في مجلة الأفق Horizon في صيف عام 1965 بعنوان المستقبل كطريقة

في الحياة The future as a way ليشير به إلى أولئك الرواد الساعين إلى تأسيس مجال بحثي حول المستقبل.

ويعد البحث الذي قدمه هيرمان كان H. Kan و أنتوني وينر A. Weiner عام 1966، و عنوانه العام 2000 في إطار التأمل في الثلاثة والثلاثين عاما المقبلة (The year 2000 : A frame work for spéculation on the next thirty year) نقلة نوعية في الدراسات الاستشرافية.[14]

كما شهد العقد تأسيس عدة معاهد و مؤسسات علمية في الدراسات الاستشرافية في أوروبا وأمريكا وقد أطلقت (RAND corporation)[15] (مؤسسة RAND) معهد المستقبل عام 1966، بإشراف أحد أهم علمائها و هو أولاف هيلمر.[16] وتعد بداية الستينات، هي التي شهدت طفرة كبيرة في الدراسات الاستشرافية.[17]

ففي سنة 1972 وبعد بعض التقلبات، استعاد المركز الدولي للاستشراف أهمية، حيث سيدمج ضمن جمعية Futuribles international. وسيتم فيما بعد تطوير مؤسسة ومجلة فوتوريبل Futuribles، التي أنشئت سنة 1975 بقيادة هوغ ذي جوفنيل Hugues De Jouvenel. وتعززت مدرسة الاستشراف الفرنسية في بداية السبعينيات بأعمال وأبحاث عن المناهج قام بهام يشال غوديه Michel Godet بمؤسسة SEMA.[18]

كما أصدر معهد هدسون[19] كتابا عام 1976، بعنوان العالم بعد مائتي عام، حيث يمد هذا الكتاب رؤية مستقبلية إلى مائتي عام قادمة ويعالج قضايا النمو السكاني، التنمية، الطاقة، المواد الخام، الطعام و البيئة، ويذهب إلى أن هناك حلولا لكل هذه المشكلات.

وثمة مساهمات أخرى أيضا، منها: قيام الإيطالي (أوريليو بيتشي) وهو اقتصادي ورجل أعمال بإنشاء نادي روما The club of Roma، وقد اختص في التعرف على المشكلات التي ستواجه العالم وخاصة قضايا حدود وآفاق النمو، وقيام الألماني روبرت جينيك بإعلان مشروع البشرية عام 2000. وقيام المجلس البريطاني للبحوث في العلوم الاجتماعية، تشكيل اللجنة المعنية بالثلاثين سنة القادمة وقيام جمعية اليابان المستقبلية أيضا.

كذلك بدأت منظمة اليونسكو الدولية في مطلع التسعينات، تصدر مجلة في باريس باسم المستقبليات بعدة لغات، تعنى بشؤون دراسات المستقبل خاصة الثقافي والاجتماعي،[20] كما أصدرت كتابين في عامين متتاليين، الأول 1999 (عالم جديد) والثاني 2000 (مفاتيح القرن الحادي والعشرين)، وقد ساهم في هذه المشروعات مجموعة من العلماء و المفكرين تحت إشراف جيروم باندیه G. Binde مدير مكتب التنبؤ والتحليل باليونسكو.[21] وفي ذات الوقت، أصدر مكتب التربية الدولي في جنيف – سويسرا، مجلة المستقبليات هي مجلة بحث تربوي مستقبلي.[22]

أخيرا، نلاحظ أنه خلال عقدي الثمانينات والتسعينات تطورت الدراسات الاستشرافية لتشمل دراسات محددة.[23]

2- مفهوم الدراسات الاستشرافية:

إن الاستشراف كعلم من العلوم الاجتماعية، عند توضيح مفهومه يجدر بنا الإشارة إلى ذلك، من خلال جانبين:

- المعنى اللغوي للاستشراف، يحمل في مضمونه معاني النظر إلى الشيء البعيد ومحاولة التعرف عليه، واتخاذ السبل التي توصل إلى ذلك بدقة كالصعود إلى مكان مرتفع يتيح فرصة أكبر للاستطلاع.

- أما اصطلاحا، فإن الاستشراف عبارة عن "محاولة لاستكشاف المستقبل وفق الأهداف المخططة، باستخدام أساليب كمية تعتمد على قراءة أرقام الحاضر والماضي، أو أساليب كيفية تستنتج أدلتها من الآراء الشخصية القارئة لمجرى الأحداث، و من المهم لهذا الاستشراف أن يعتمد على ذلك النوع من المتغيرات القابلة لأن تبنى عليها السياسة التحسينية".[24]

كما ينظر Shane إلى الدراسات الاستشرافية، على أنها "تخصص علمي جديد يختص بصقل البيانات وتحسين العمليات التي على أساسها تتخذ القرارات والسياسات".[25]

عرف أيضا إبراهيم سعد الدين، علي نصار و آخرون الاستشراف على أنه، "يفيد في العمل على الاقتراب من البديل الأفضل للمستقبل".[26]

ويعرفه كذلك إدوارد كورنيش على أنه: "مهارة عملية تنطوي على استقراء التوجهات العامة في حياة البشرية، التي تؤثر بطريقة أو بأخرى في مسارات الأفراد والمجتمعات".[27]

بالرغم من تعدد التعريفات التي أعطيت للدراسات الاستشرافية، وبالرجوع إلى مضامين التعريفات السابقة، يمكن أن نميز بين ثلاثة مفاهيم أساسية للدراسات الاستشرافية، كالآتي:

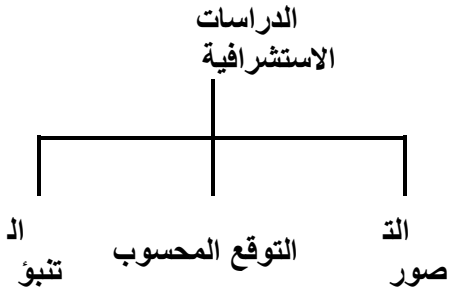

- التصور (Spéculation): يقصد الباحثون بهذا المفهوم، العملية التي من خلالها يتم تكوين صورة متكاملة للأحداث في فترة مستقبلية، و تتأثر هذه الصورة المستقبلية بعوامل الابتكار والخيال العلمي من جانب الباحث في محاولة التصميم هذا التخيلي المستقبلي.

- التوقع المحسوب (Projection): يشير إلى العملية التي تقوم على فهم، وإدراك تطور الأحداث من الحاضر إلى المستقبل، المعرفة اتجاه وطبيعة التغير اعتمادا على استخدام معلومات متنوعة عن الحاضر وتحليلها، والاستفادة منها لفهم المستقبل.

- التنبؤ (Forecasting): وهو يتضمن محاولة تكوين صورة مستقبلية متنوعة محتملة الحدوث، كما يتضمن في نفس الوقت دراسة المتغيرات التي يمكن أن تؤدي إلى احتمال تحقيق هذه الصورة المستقبلية.[28]

ويمكن القول، أن الدراسات الاستشرافية هي علم جديد، يقوم على تقييم الماضي والحاضر، وتحديد المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في المستقبل، وذلك من أجل الوصول إلى البديل الأفضل.

3- أهداف الدراسات الاستشرافية:

إن الدراسات الاستشرافية تساعدنا على صنع مستقبل أفضل، وذلك بفضل ما تؤمنه من منافع متعددة، من أهمها ما يلي:

1/ اكتشاف المشكلات قبل وقوعها:

يعني أن تؤدي الدراسات الاستشرافية وظائف الإنذار المبكر، والاستعداد للمشكلات قبل وقوعها، ومن ثم التهيؤ لمواجهتها أو حتى لقطع الطريق عليها والحيلولة دون وقوعها.

2/ إعادة اكتشاف أنفسنا و مواردنا و طاقاتنا:

وبخاصة ما هو كامن منها، والذي يمكن أن يتحول بفضل العلم إلى موارد وطاقات فعلية. وهذا بدوره يساعد على اكتشاف مسارات جديدة يمكن أن تحقق لنا ما نصبو إليه من تنمية شاملة سريعة ومتواصلة.

3/ بلورة الاختيارات الممكنة و المتاحة و ترشيد عملية المفاضلة بينها:

وذلك بإخضاع كل اختيار منها للدراسة والفحص، بقصد استطلاع ما يمكن أن يؤدي إليه من تداعيات، وما يمكن أن يسفر عنه من نتائج. ويترتب على ذلك المساعدة في توفير قاعدة معرفية يمكن للناس أن يحددوا اختياراتهم السياسية

والاجتماعية و الاقتصادية في ضوئها.[29]

4/ دراسة المستقبل الممكن:

إن أحد مهام باحث الاستشراف هو دراسة إمكانات المستقبل مهما كانت غير محتملة الحدوث، وبالتالي بناء مستقبل أكثر احتمالا لبعض الظواهر المحددة خلال فترة زمنية معينة وفي ظل تكرارات محددة، ومن ثم قد يهتم باحث الاستشراف بدراسة العلاقة بين السبب والنتيجة بالنسبة للظاهرة محل البحث، وفهم النظريات المفسرة لها، من أجل الوصول إلى استشراف متكامل للمستقبل.

5/ دراسة الأسس المعرفية لبحوث المستقبل:

أي محاولة الكشف عن أسس المعرفة التي تنتجها الدراسة الاسشترافية، أي أدوات منهجية يستفاد منها في مجال المستقبل، من خلال وضع بعض الأسس الفلسفية للتأكيد عن المستقبل الممكن أو المفضل.

6/ تقييم أفضلية مستقبل بديل:

يتعين على باحث الاستشراف أن يدرس و يقيم أفضلية مستقبل بديل، ولذلك كانت الدراسات الاستشرافية تهتم بتوضيح القيم و الأهداف التي يتبناها الأفراد.

7/ تأويل الماضي توجيه الحاضر:

إن باحثوا الاستشراف لا يهملون الحاضر، ولأن التفكير في المستقبل يدور جزء كبير منه حول قرار الفعل في الحاضر، ومن هنا تساعد الدراسات الاستشرافية في تأويل الماضي لتوجيه سلوك الحاضر، فضلا عن أنها تساعد على تحقيق التوازن بين متطلبات الحاضر في مواجهة متطلبات المستقبل.

8/ التنبؤ و الدراسات الاستشرافية:

ما دامت أهداف الدراسات الاستشرافية تتمثل في استشراف المستقبل الممكن والمفضل، وبالتالي، فإن التنبؤ يمثل أحد أهدافهم، لأنه تقرير عن المستقبل، من خلال إلقاء الضوء على بدائل مستقبلية تتفاوت احتماليا في ضوء افتراضات وشروط محددة، و لذلك فإن بناء المستقبل من خلال وضع سيناريوهات مختلفة يتضمن نوع من التنبؤ. وهكذا، فإن التنبؤ يلعب دورا هاما في عمل باحث الاستشراف.[30]

من هنا يمكن القول، أن هدف الدراسات الاستشرافية هو دراسة وتقييم أفضلية بديل ممكن، ونتائجه عند نقطة زمنية محددة في المستقبل.

4- مبادئ الدراسات الاستشرافية:

هناك مجموعة من المبادئ التي تقوم عليها الدراسات الاستشرافية، تتمثل أهمها فيما يلي:

- مبدأ الاستمرارية (Continuity) وهو توقع المستقبل امتدادا للحاضر، أي استمرارية الحوادث من الماضي للحاضر للمستقبل.

- مبدأ التماثل (Analogy): وهو توقع أن تتكرر بعض أنماط الحوادث كما هي من وقت لآخر.

- مبدأ التراكم (Accumulation): وهو تراكم نفس الأحكام على نفس الوقائع، مع اختلاف الأشخاص لمدد تتفاوت تاريخيا.[31]

- مبدأ استخلاص العبرة من الماضي: من خلال دراسة أهم التطورات على المستويين الدولي والإقليمي وما ينتج عنها من تأثيرات مثل: الفرص المتاحة، القيود المفروضة أو التهديدات والمخاطر الناجمة، بهدف تحديد صورة مستقبلية.[32]

- مبدأ التنبؤ بالمستقبل: المستقبل عدد من الاحتمالات التي تبدأ من نقطة الحاضر ثم تتفاوت فيما بينها عبر الزمن، بقدر التفاوت في تنظيم مدخلاته، وتفاعل هذه الأخيرة داخل كل احتمال، فالمستقبل شيء يمكن التنبؤ به وتحديده بدرجة تختلف من بلد متقدم إلى بلد نام بحكم ما يتوفر لها من معطيات.

بالإضافة إلى هذه المبادئ، هناك مبادئ أخرى تقوم عليها الدراسات الإستشرافية منها ما يلي:

- وفرة البيانات التي تقوم عليها الدراسات الاستشرافية ودرجة مصداقيتها ودقتها، تساعد على ترشيد التفكير الاستشرافي.[33]

- تصور للمستقبل، باستخدام جميع النماذج الرياضية المتاحة مع توضيح الأهداف وتفصيلها ما أمكن.

- عدم التميز، بالاعتماد على الفرضيات التي تلاقي قبولا في مختلف الاتجاهات العلمية، الفكرية، العقائدية والتكنولوجية.

- توضيح القدرات المطلوبة لإنجاز كل مسار مستقبلي، بتحديد ما يلزم من آليات والنفقات العامة.

- الارتكاز على عوامل التطور في مجالات مختلفة، بما يحقق الأهداف تحقيقا فاعلا.

- الاعتماد على سيناريوهات مختلفة تمثل جميع الاحتمالات الممكنة، يستفيد منها لصنع القرار.[34]

5- طرق بناء الدراسات الاستشرافية:

توجد طرق عديدة لبناء الدراسات الاستشرافية، غير أن هناك منظومة شاملة للدراسات الاستشرافية من نواحي عديدة يوضحها الشكل الآتي:

شكل: يبيّن منظومة بناء الدراسات الاستشرافية

الآفاق المستقبلية / خطوات التفكير في المستقبل	المستقبل الحيوي	المستقبل الاجتماعي	المستقبل الاقتصادي	المستقبل السياسي	المستقبل التكنولوجي	المستقبل النفسي
التعرف على الوضع الحاضر						
توقع التغيرات المحتملة						
التنبؤ بالتفكير التخيلي						

⇩

المعلومات التنبؤية

⇩

استخدام أحد أساليب التنبؤ

أسلوب دلفي، السيناريو، نماذج المحاكاة، عرض المستقبلات البديلة

النواتج المستقبلية المحتملة (التنبؤ المستقبلي)

المصدر: فليه عبده فاروق، الزكي عبد الفتاح أحمد – مرجع سبق ذكره – ص 41.

ويلاحظ من الشكل السابق، أن الطرق الدراسات الاستشرافية التي تشتق من الأفاق المستقبلية تشكل عناصر أساسية في بناء منظومة شاملة للدراسات الاستشرافية، ومن هذه الطرق:

1/ نماذج المحاكاة:

و نعني بها نمذجة النظام وتحديد المتغيرات التي تشكل نموذج الظاهرة مع افتراض سلسلة من الروابط بين هذه المتغيرات.[35] وتنقسم نماذج المحاكاة إلى الأنواع الآتية:

أ- نماذج المحاكاة الثابتة (statique) و المتحركة (dynamique):

نماذج المحاكاة الثابتة تمثل النظام المراد دراسته عند نقطة محددة من الوقت، بينما النماذج المتحركة، فتمثل حالة النظام مع تغير الوقت.

ب- نماذج عشوائية (stochastique) و محددة (deterministe):

فنماذج المحاكاة العشوائية، هي تلك النماذج التي تحتوي على متغير عشوائي على الأقل كمدخلات والنماذج العشوائية تكون مخرجاتها أيضا، أما نماذج المحاكاة المحددة هي التي لا تحتوي على تلك المتغيرات العشوائية كمدخلات والتي تكون معروفة و محددة مسبقا.

جـ- نماذج متصلة (continue) ومنفصلة (discret):

نماذج المحاكاة المتصلة، وهي التي تتغير فيها المتغيرات بشكل مستمر من حالة لأخرى، أما نماذج المحاكاة المنفصلة، فالمتغيرات فيها تبقى مستقرة إلا في أوقات محددة التي تتم فيها الأحداث.[36]

2/ طريقة السيناريوهات:

إن طريقة السيناريوهات هي وصف لوضع مستقبلي ممكن أو مرغوب فيه، مع توضيح الملامح المسار أو المسارات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي، وذلك انطلاقا من وضع معين.[37] وتوجد السيناريوهات في أشكال مختلفة ذات استخدامات متنوعة و الأصل في تعدد السيناريوهات هو ما يحيط بالمستقبل من احتمالات.[38] يمكن تصنيف السيناريوهات وفقا للمعايير الآتية:

أ- من حيث الشمول:

تنقسم السيناريوهات من حيث الشمول إلى:

- سيناريوهات شاملة، فقد تكون خاصة بالعالم كله أو إقليم أو بلد، و قد يختص السيناريو العالمي بوضع تصورات عن مستقبل هذا العالم في ضوء التقدم التقني أو التغير السياسي.

- سيناريوهات متخصصة، و تكون متخصصة بمحيط معين أو مؤسسة معينة أو صناعة معينة.

ب- من حيث الهدف:

تنقسم السيناريوهات من حيث الهدف إلى:

- سيناريوهات استهدافية أو معيارية (Normative) وهي تكتب لوصف مستقبل مرغوب فيه، ونقطة البدء فيها وضع مجموعة من الأهداف التي يرجى تحقيقها في المستقبل. وتسمى هذه السيناريوهات أيضا بالسيناريوهات المرجوة (Anticipatory) أو سيناريوهات مرتدة الاتجاه (Back casting).

- سيناريوهات استطلاعية (exploratory) و نقطة البدء في هذه السيناريوهات

الواقع القائم و القوى المؤثرة فيه.

و توجد أنواع من هذه السيناريوهات الاستطلاعية منها:

1. السيناريوهات المرجعية (Reference) وتسمى أيضا بالسيناريوهات الاسقاطية (Extrapolator) ونعني بها أن تكون هذه السيناريوهات مرجعا يقارن به السيناريوهات الأخرى. ويمكن إضافة تنويع تفاؤلي وتنويع تشاؤمي حول هذا السيناريو المرجعي:

- السيناريو المتفائل: يعبر عن الأمل في مسار تطور الظاهرة.
- السيناريو المتشائم: يعبر عن النقيض للسيناريو الأوّل، في حالة عدم توافق الظروف والاتجاه.

2. السيناريوهات المحتملة (probable) وهي سيناريوهات إسقاطية وتتميز بإدخال بعض التعديلات في صورة المستقبل.(39)

جـ- من حيث الإستراتيجيات:

ونميز هنا بين السيناريو الخارجي والسيناريو الداخلي.

- السيناريوهات الخارجية:

وهي التي تصدر عن النماذج العقلية المشتركة والمتفق عليها من قبل العالم الخارجي، ويتم وضعها لوصف لما قد يكون عليه المستقبل من تطورات ونتائج في العالم الخارجي.

- السيناريوهات الداخلية:

ترتبط السيناريوهات الداخلية بالذات و تمتاز بأنها أكثر اتساقا على المستوى الداخلي، لربط هذه الخيارات المتاحة بالهدف و تميل لأن تكون معيارية فهي تفضل بعض النتائج على غيرها على نحو يعكس أهدافها.(40)

3/ طريقة دلفي:

إن طريقة دلفي عبارة عن منهج مصمم بطريقة علمية لاستطلاع رأي مجموعة من الخبراء حول موضوع الدراسة، واستطلاع الرأي يتم من خلال عمل مناقشة غير مباشرة بين الخبراء بشرط أن كلا منهم لا يعرف شخصية الأعضاء الآخرين و إنما يعرف فقط آرائهم و يتم هذا في أكثر من دورة للوصول إلى النتيجة التي يطمح الباحث في الوصول إليها. و تتناول طريقة دلفي أراء الخبراء من خلال مجموعة من الاستبيانات، تتمثل في الأنواع الآتية:

أ- استبيانات مفتوحة:

يتم طرح سؤال من الأسئلة على مجموعة من الخبراء المختارين لهذا الغرض و تترك لهم حرية الإجابة والتعبير عن رأيهم فيها ويشمل هذا النوع من الاستبيانات على

نوعين فرعيين:

1. الاستبيانات الاستقرائية:

وفيها يقدم للخبراء سؤالا مباشرا أو أكثر عن مجال موضوع التنبؤ، ويترك للخبراء حرية أداء أرائهم في ورق فارغ عند تطبيق الاستبيان بطريقة مكتوبة.

2. الاستبيانات الاستنتاجية:

و فيها يقدم للخبراء معلومات كافية عن موضوع الدراسة، ثم يطلب منهم الإجابة على الأسئلة المفتوحة، ليعبروا عن آرائهم في ضوء المعطيات المقدمة لهم.

ب- استبيانات مغلقة:

تأتي هذه الاستبيانات بعد تحليل الاستبيانات المفتوحة، فيتم صياغتها في عبارات مغلقة نعم أو لا، أو موافق أو غير موافق، ثم يطلب من الخبير الإجابة عنها.[41]

4/ طريقة عرض المستقبلات البديلة:

و يقصد بها طريقة التنبؤ بتصميم صور مستقبلية لمتغيرات متوقعة، أي أنها تعتمد على تعدد الصور التي يضعها الباحث كبدائل مستقبلية.[42]

6- تقييم الدراسات الاستشرافية:

رغم المزايا التي تتسم بها الدراسات الاستشرافية، إلا أنه هناك بعض الصعوبات التي تعاني منها:

1/ معوقات الدراسات الاستشرافية:

من أهم الصعوبات التي تواجه الدراسات الاستشرافية، هي:

أ- أن الدراسات الاستشرافية، ما تزال تعاني من قصور سببه طبيعة هذه الدراسات، الأمر الذي أدى إلى عدم القدرة على دراسة المستقبل بشكل موضوعي، وحتى النماذج الرياضية فشلت في الإحاطة بكل جوانبه، وبالتالي ينبغي عدم الركون إلى إعطاء مصداقية لكل نموذج أو بديل مستقبلي؛

ب- قصور في الافتراضات التي تقوم عليها الدراسات الاستشرافية، وهذا راجع إلى أن هذه الافتراضات لا تبنى أو توضع على أساس علمي بل على أساس إستراتيجي أو عقائدي أو سياسي؛

جـ- قصور المعلومات والبيانات وعدم مصداقيتها أو نقصها يمثل عائقا كبيرا أمام الدراسات الاستشرافية في جميع المجالات، فلكي تثمر الدراسات الاستشرافية لابد لها من قاعدة معلوماتية متينة؛[43]

د- عدم وضوح مفهوم الاستشراف، مما أدى إلى ندرة الدراسات الاستشرافية، و كذلك إلى الإسهاب في التعلق بالماضي؛

هـ- ضعف مراكز التخطيط والإدارة و كذلك مناهجها، وقلة الإمكانات المادية والبشرية و التبعية العلمية للنماذج الغربية؛

و- غياب الوعي بسمات وفرضيات التفكير العلمي الإستشرافي، وكذلك أنماطه؛

ي- هناك افتقار شبه تام للرؤية الاستشرافية على الساحة العربية.(44)

2/ إيجابيات الدراسات الاستشرافية:

رغم كل الثغرات التي تتصل بالدراسات الاستشرافية، فإنه لاشك أن لها من الإيجابيات الشيء الكثير، ولعل أهمها:

1. أنها نبهت إلى إمكانية الفعل و التخطيط.

2. أهمية رصد كل المتغيرات التي تؤثر في تشكيل المستقبل أو حتى بعض معالمه.(45)

3. تحقيق الانسجام بين ما يتم التنبؤ به وما يحدث بالفعل.(46)

الخـاتمة

من خلال التحليل المفاهيمي للدراسات الاستشرافية، فإننا نخلص إلى نتيجة أساسية وهي أن هذه الدراسات أصبحت ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها، وذلك لما يشهده العالم من تطورات وتقدمات هائلة ومتسارعة في شتى مجالات الحياة والمجالات العلمية والمعرفية والمعلوماتية والتكنولوجية، فضلا عن أهميتها لترشيد التفكير الاستشرافي. وبالتالي، أصبحت الدراسات الاستشرافية تشكل علم منظم، يرمي إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة، والتي يمكن أن تساهم بشكل ملحوظ في اختيارنا بين البدائل.

كما تقوم الدراسات الاستشرافية على مجموعة من المبادئ، والتي من أهمها مبدأ الاستمرارية، مبدأ التماثل، مبدأ التراكم، مبدأ استخلاص العبرة من الماضي، والتي تساهم في التعامل مع الحاضر، على أساس علمي رشيد.

ولا تهدف الدراسات الاستشرافية إلى إصلاح الماضي ولا إلى تقليص الأخطاء التي تعوق الحاضر، وإنما تركز بشكل أساسي على اختيار أفضل بديل ممكن. وبالرغم من الصعوبات التي تواجه الدراسات الاستشرافية، فإنه لها من الإيجابيات الشيء الكثير. ولعل أهمها أنها تصف الإمكانات البديلة للمستقبل، وتقدم عرضا للاختيارات المتاحة، مع بيان نتائجها المتوقعة.

الهوامش

1. إبراهيم سعد الدين، نصار علي وآخرون: صور المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، مارس 1989 ، ص 28.

2. رائد حامد: نحن و"المستقبلية" هل ثمة فكر مستقبلي استشرافي عند العرب ؟ الباحثون، العدد 04 ، دمشق، تشرين الأول 2007 ، ص 52.

3. عامر طارق: أساليب الدراسات المستقبلية، دار اليازوري، عمان، الأردن، 2008 ، ص 23.

4. نفس المرجع والصفحة سابقا.

5. الحسين صلاح الدين: علم المستقبل – تاريخ الإطلاع: 2011/08/13 (12:31) على الموقع الإلكتروني:

http://www.chihab.net/modules.php?name=News etfile=articleetsid=1117

6. ميشال غوديه، وآخرون: الاستشراف الاستراتيجي للمؤسسات والأقاليم (تعريب: محمد سليم قلالة، قيس الهمامي) ، ص 11 ، تاريخ الاطلاع: 2011/08/07 (10:29)،على الموقع الالكتروني:

،goodet،michel،http://www.keepandshare.com/doc/2428795/traduction pdf-december-8-2010-6-28-pm-17-meg(application/pdfob)

7. رائد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 53.

8. ميشال غوديه، وأخرون، مرجع سبق ذكره، ص ص 11-18.

9. الحسين صلاح الدين، مرجع سبق ذكره.

10. جلبي علي عبد الرزاق: الدراسات المستقبلية الأسس والإستراتيجيات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2000، ص12.

11. رائد حامد، مرجع سبق ذكره ، ص ص 53-54 .

12. عامر طارق، مرجع سبق ذكره، ص23.

13. رائد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 54.

14. عامر طارق، مرجع سبق ذكره، ص ص 23-24.

15. مؤسسة RAND: وهي مسجلة في كاليفورنيا والتي هي اختصار لكلمتي Research And Development وهي من أهم الهيئات في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم التي تعنى بالتطوير والاستطلاع والتخطيط في الشؤون العسكرية تبعتها بعد ذلك معامل فكر أخرى نشأت بدعم وتأثير من (RAND) نفسها مثل: هيئة تطوير النظام، ومعهد هدسون الشهير.

16. رائد حامد، مرجع سبق ذكره ، ص 54.

17. الحسين صلاح الدين، مرجع سبق ذكره.

18. ميشال غوديه، وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 21.

19. معهد هدسون، أسسه هيرمان كان وهو محلل سابق في مؤسسة RAND وقد قدم هذا

المعهد دراسات هامة حول الإستراتيجية العسكرية وقدم عام 1967 كتابا هاما وضخما باسم "العالم سنة 2000".

20. رائد حامد، مرجع سبق ذكره ، ص 55.

21. جلبي عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره، ص 24.

22. رائد حامد، مرجع سبق ذكره، ص ص 55-56.

23. الحسين صلاح الدين، مرجع سبق ذكره.

24. بيومي كمال حسني، بن رشيد نياف الجابري، وآخرون: استشراف مستقبل التعليم بمنطقة المدينة المنورة تطبيق السلاسل الزمنية ، ص 6 ، تاريخ الاطلاع: 2011/09/25 (19:45) ، على الموقع الإلكتروني:

http://www.mohyssin.com/Down/load/research/doc/research15doc

25. عامر طارق، مرجع سبق ذكره، ص 20.

26. إبراهيم سعد الدين، نصار علي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 25.

27. إدوارد كورنيش: مناهج استكشاف المستقبل(ترجمة: حسن الشريف) – تاريخ الاطلاع: 2011/09/25 (19:21) ، على الموقع الالكتروني:

http://www.almustaqbal.com.ib/stories.aspx?storyid=243168

28. عامر طارق، مرجع سبق ذكره، ص 19.

29. فليه عبده فاروق، الزكي أحمد عبد الفتاح: الدراسات المستقبلية منظور تربوي، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2003، ص 30.

30. جلبي علي عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره، ص ص 76-81.

31. الجهني محمد فالح: الدراسات المستقبلية شغف العلم وإشكالات المنهج، تاريخ الاطلاع: 2012/07/22 (11:30) ،على الموقع الالكتروني:

http://www.almaref.org/news.php?action=show&id=4309.

32. مبادئ الدراسات المستقبلية، تاريخ الاطلاع: 2012/07/22 (11:16) ، على الموقع الالكتروني:

http://www.sawsanatalk.com/forum/showthread.php?/t=17671

33. فليه عبده فاروق، الزكي أحمد عبد الفتاح، مرجع سبق ذكره، ص 35.

34. السيناريو غير الفني، تاريخ الاطلاع: 2012/07/16 (18:18) ، على الموقع الالكتروني:

http://moqatel.com

35. وليد عبد الحي: الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية ، شركة الشهاب، الجزائر، الطبعة الأولى ، 1991 ، ص67.

36. أنواع نماذج المحاكاة ، تاريخ الاطلاع: 2012/07/16 ،على الموقع الالكتروني:

recherche_opérationnelle/5/7html..e-campus.ufc.dz/cours/ts_informatique/

37. الحناوي عصام: قضايا البيئة والتنمية في مصر الأوضاع الراهنة

وسيناريوهات مستقبلية حتى عام 2020 ، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001، ص 106.

38. عامر طارق، مرجع سبق ذكره، ص 185.

39. المرجع السابق، ص ص 186-199.

40. نبيل أميرة: السيناريو فن الحوار الإستراتيجي، إصدارات بميك، القاهرة ،2002 ، ص ص 26-27.

41. عامر طارق، مرجع سبق ذكره ، ص ص 126-139.

42. المرجع السابق، ص 83.

43. فليه عبده فاروق، الزكي أحمد عبد الفتاح، مرجع سبق ذكره، ص 42.

44. عامر طارق، مرجع سبق ذكره ، ص 66.

45. فليه عبده فاروق، الزكي أحمد عبد الفتاح ، مرجع سبق ذكره ، ص 44.

46. عامر طارق، مرجع سبق ذكره، ص 69.